عنوان المداخلة :

أهمية العلوم المساعدة في فهم النص التاريخي : علوم اللغة أنموذجا.

الأستاذ: هشام بهلول- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

البريد الإلكتروني : hichou84@gmail.com

الملخص :

سأبين من خلال هذه العجالة أهمية العلوم المساعدة، وتحديداً علوم اللغة أو العلوم المتصلة باللغة، في تعزيز البحث التاريخي. يتعامل بحثي مع ثلاثة مجالات رئيسية: علم فقه اللغة، علم اللغات، وعلم قراءة الخطوط. فهو يسلط الضوء على أهمية اتقان اللغات التي كتبت بها النصوص التاريخية. كما يُظهر هذا البحث كيف يمكن لفهم اللغة (فقه اللغة) أن يسهل عمل الباحث في التاريخ، لأختم مبينا أهمية علم قراءة الخطوط في تحليل النصوص والوثائق التاريخية. بالتعريج على أهمية الخطوط والأسلوب الكتابي في فتح أفقًا جديدًا لفهم السياق التاريخي وتفسير النصوص.

الكلمات المفتاحية : العلوم المساعدة، اللغات، فقه اللغة، علم قراءة الخطوط.

Abstract:

Through research paper, I will trying to demonstrate the importance of allied sciences, specifically linguistic sciences or sciences related to language, in enhancing historical research. My research covers three main areas: philology, linguistics, and paleography, It highlights the importance of mastering the languages in which historical texts were written, This research also shows how understanding language (philology) can facilitate the work of the researcher in history. Finally, it explains the importance of scripts and writing style in opening a new horizon for understanding the historical context and interpreting texts.

Keywords: Allied sciences, languages, philology, paleography.

1- مقدمة :

يعد علم التاريخ من أقدم العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهو يُعنى بدراسة الماضي وفهم تطور الأحداث والحضارات على مر الزمن. إلا أن فهم وتحليل الأحداث التاريخية يتطلب تعاونًا واستعانة بالعديد من المناهج و التقنيات، بل و حتى العلوم و المعارف الأخرى، هذه الأخيرة التي يصطلح عليها اسم العلوم المساعدة، إذ تسهم في توفير سياق وفهم أفضل للتاريخ. ففي هذه العجالة سنلقي نظرة على بعض تلك العلوم التي يفترض أنها ملازمة لعلم التاريخ من الناحية العملية، يستحيل اهمالها عند

دراسته ، إذ تسهم في إثراء فهم الباحث له، فما المقصود بالعلوم المساعدة؟ و ما أهمها؟ و فيم تكمن فائدتها؟.

2- ما العلوم المساعدة:

يقصد بالعلوم المساعدة تلك المعارف التي يجب على الباحث في التاريخ أن يتطرق إليها و يوظفها في بحثه بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية، و هي كذلك تسمى عند بعض المؤرخين بالعلوم الموصلة، و هذه الأخيرة استعارة مستعملة في علم التفسير، إذ أجمع المفسرون على وجوب التمكن من العلوم الموصلة إلى علم التفسير[1]، و شأن التاريخ في هذا السياق شأن جميع العلوم و المعارف، كما لا يمكن دراسة التاريخ منفردا، و هو المتصل بأنواع مختلفة من المعرفة الإنسانية. لذلك بات ضروريا على المؤرخ أن يكون واسع الثقافة، عارفا بالعلوم المتصلة بدراسة التاريخ و كتابته، و من هنا جاءت تسمية العلوم المساعدة، و الملاحظ أن العلوم المساعدة تختلف و تتفاوت بالنسبة للباحث في التاريخ باختلاف العصر الذي يريد بحثه أو الناحية التي يريد تقصي الحقيقة فيها، فالعلوم المساعدة التي تكون ضرورية لدراسة التاريخ القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لدراسة تاريخ النهضة[2].

و إن كان حسن عثمان قد حاول تعداد العلوم المساعدة، فذكر منها ما كان متصلا بالعلوم اللغوية، كاللغة، و فقه اللغة و نحوه، و أردف بالعلوم التي يكون موضوعها قريبا أو مشتركا مع موضوع البحث التاريخي، إذ جعل من العلوم الإنسانية و الاجتماعية أبرز العلوم التي يجب على الباحث في التاريخ التمكن منها، ففي تقديري يمكن لأي علم من العلوم التي يشتغل عليها الإنسان أن يكون علما مساعدا، بغض النظر عن موضوعها، بما في ذلك العلوم التقنية و التجريبية، و ذلك متوقف بالدرجة الأولى على طبيعة الموضوع التاريخي محل البحث و الدراسة.

3- أهمية العلوم المساعدة في البحث التاريخي :

يعتبر المؤرخ جورج كارل فابر[3] من أبرز المؤرخين الذين أدركوا الالتحام الحاصل بين المعرفة التاريخية و نظيراتها في المجالات الانسانية الأخرى، إذ أولى الحديث عن العلوم الاجتماعية و الانسانية أهمية و تميزا، مركزا على الحاجة المنهجية التي تمليها طبيعة البحث التاريخي، و الإطار الفكري لذلك، خاصة أثناء اعادة ترتيب الحقائق التاريخية، فيقول : ".. فاهتمام علم مساعد ما بماض ما قد لا

---

[1] أسد رسم، مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، ط2، 2002، بيروت، ص18.

[2] حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، ط.8 ، مصر. ص25.

[3] مؤرخ و أستاذ بجامعة "ماينز" غرب ألمانيا، ولد 21 جوان 1925، و توفي 15 سبتمبر 1982، كان مهتما بالتاريخ الاقليمي لألمانيا الغربية، و خلف الكثير من المؤلفات و الأبحاث أبرزها كتابه: "نظرية العلوم التاريخية" و مقاله الشهير: " ما هو التاريخ" الذي ترجم الى اللغة العربية، و نشر بمجلة الفكر العربي.

يكون سببه أنه مضى أو أن له علاقة معينة بالحاضر، بل قد يكون سببه أهمية الموضوع لمجال ثقافي معين. أما بالنسبة للمؤرخ فإن مجال اهتمامه الرئيسي هو (الكون الماضي)، لكن لأن المؤرخ لا يستطيع تناول مادته بالترتيب و التركيب بغير وسائل فكرية و عملية معاصرة، و لأن العلوم الاجتماعية لا تستطيع تناول الظواهر إلا في الزمان و لذلك تحتاج إلى التاريخ، كما يحتاج علم التاريخ نفسه إليها. لهذين السببين فإن الفواصل بين علم التاريخ و العلوم الإنسانية الأخرى تبدو نسبية و سهلة التجاوز...."[4].

لا يختلف اثنين من المؤرخين المعاصرين اليوم حول أهمية العلوم المساعدة في فهم التاريخ، بل هناك من يجعل هذا الموقف الحقيقة المطلقة التي اصطدمت بها أحلام (عقول) اصحاب المدرسة الوضعية، إذ زُعزعت ثقتهم باستقلالية العلوم عن بعضها البعض سيما العلوم الإنسانية و الاجتماعية، إذ يقول في هذا الصدد وجيه كوثراني : "...فالحقيقة التاريخية التي يهدف علم التاريخ إلى الوصول إليها لا تعبر عنها بالضرورة وثيقة أو محفوظة، و إن ثبت صحة هذه المحفوظة أو الوثيقة في الزمان و المكان، كما ثبت صدق راويها أو تجرّده. لقد جاءت معارف العلوم الإنسانية الأخرى، كما جاءت المعرفة التاريخية الموغلة في التخصص في أقبية المحفوظات و الممعنة في التدقيق و النظر في ضبط النصوص الوثائقية و استخراج الحقائق المفردة منها (المعلومات)، تثبت محدودية هذه المعرفة الإنسانية و نقائصها، إذ لم توضع في السياق التاريخي الذي يحمل معطيات اجتماعية و اقتصادية و سياسية و ديمغرافية و نفسية. من هنا بدأت تبرز النظرة التكاملية إلى المعارف الإنسانية مع الاحتفاظ باستقلالية كل علم في مجاله كموضوع و منهج..."[5].

4- **الفيلولوجيا** (philology):

4-1- تعريف الفيلولوجيا:

إذا جئنا إلى اللغة العربية فإن كلمة" فيلولوجيا "دخيلة عليها من غيرها، ولو عدنا إلى التاريخ لوجدنا أن " كلمة (philology) مركبة من لفظتين إغريقيتين أحدهما Philo بمعنى الصديق، و الثاني : Logos بمعنى الخطبة أو الكلام، فكأن واضع التسمية لاحظ أن فقه اللغة يقوم على حبٌ الكلام للتعمق

---

[4] كارل جورج فابر، ما هو التاريخ، الفكر العربي، 1982، ص 21.

[5] وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ: اتجاهات-مدارس-مناهج، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، ط2، 2013، بيروت، ص 388.

في دراسته من حيث قواعده و أصوله و تاريخه ...و علم الفيلولوجيا علم يبحث عن أصول الكلمات و اشتقاقها، و هو يطلق على " :**فقه اللغة** عندنا[6].

4-2-الفيلولوجيا كعلم مساعد للباحث في التاريخ :

تعتبر الفيلولوجيا - فقه اللغة- من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة فروع كثيرة من التاريخ، و كلما بَعُدَ العصر الذي هو موضوع الدرس ازدادت أهمية الفيلولوجيا، إذ لابد لفهم النصوص التاريخية من معرفة لغة ذلك العصر التاريخي المعين. و ليست اللغة علامات جبرية أو أرقاما حسابية تستخدم كما في العلوم الطبيعية للدلالة على معان و كميات محددة. و لكن اللغة كائن حي ينمو و يتغير و يتطور تبعا لظروف المكان و الزمان، و ليتغير الإنسان، و اختلاط الثقافات . و في بعض الأحيان قد يدل اللفظ اللغوي على معنى محدد تماما، كما يمكن أن يدل اللفظ اللغوي على معان نسبية أو متغيرة أو متضادة، و قد تدل كلمة واحدة على معان متفاوتة أو مختلفة باختلاف استخدامها عند الكاتب بعينه. و تبدو هذه الظاهرة شديدة الأهمية في دراسة التاريخ-كما في غيره من الدراسات و على الأخص الدراسات الأدبية، و بذلك فلا بد من معرفة اللغة التي يقرأ فيها دارس التاريخ، فضلا عن الدراية بما نال ألفاظها من المعاني المتفاوتة أو المختلفة، حتى لا يفسّر ما يقرأ في غير حقيقة.[7]

5- اللغات :

تعتبر اللغات من أبرز ما يحتاجه الباحث في التاريخ كما تعد في كثير من الأحيان متاهة حقيقية بالنسبة للباحث، فالإلمام بلغة ما ليس بالأمر الهين، سيما اللغات التي تكون أجنبية بالنسبة للباحث، و الموضوع يزيد صعوبة إذا ما كان النص الذي بين يديه يندرج ضمن مواضيع فكرية أو أدبية، فالباحث في التاريخ على كل حال يتعامل مع نصوص من التراث [8]، و لذلك وجب عليه معرفة و اتقان اللغة الأصلية الخاصة بموضوع بحثه الذي يعمل عليه، و أن لا يكتفي بما ترجم له من قبل أشخاص امتهنوا هذه الحرفة، كون الترجمات في الأغلب تكفي لتحصيل الثقافة العامة و فقط، في المقابل تعجز عن سد حاجة المؤرخين، لأن عملهم يكون أعمق و أدق.

فالراغب في الكتابة عن ناحية من التاريخ القديم، كالتاريخ اليوناني وجب عليه لزوما معرفة اللغة اليونانية القديمة، و مثله تماما من أراد الكتابة عن موضوع من تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

---

[6] سليمان جبار، أثر الاستشراق الفيلولوجي على الحداثيين في نقدهم للتراث الإسلامي، مجلة المعيار، مجلد:26، عدد:6، 2022، ص 172.

[7] حسن عثمان، منهج البحث ...، ص 27.

[8] Beverley Southgate, What is History For?, by Routledge, First published, 2005, USA and Canada, P42.

فيلزمه الإلمام باللغة اللاتينية، و من أقبل على البحث و الكتابة حول عصر النهضة الأوروبية ألزمه ذلك تعلم و اتقان اللغة الإيطالية. و على كل حال فاللغة الأصلية تتفاوت أهميتها بالنسبة للموضوعات التاريخية المختلفة، فعند التطرق بالبحث و الكتابة مثلا في موضوع الثورة الفرنسية الكبرى تصبح اللغة الفرنسية هاهنا هي الأهم، كونها أصل الموضوع و بها دونت مصادره و ليست اللغة اللاتينية، التي لا نرى داعيا للتعمق فيها في هذا الموقف.

اللغة وسيلة تواصل بين الشعوب، و بها حفظ تراث تلك الشعوب من الضياع، و هي وعاء لفكر كل شعب، بغض النظر عن كون اللغة قديمة كانت أم حديثة، ميتة كانت أم لا تزال تستخدم إلى يومنا هذا. فتمكن الباحث من عدة لغات و اتقانه لها يفتح له أفقا واسع في مجال البحث التاريخي، و فهم حق للنصوص التي تصور لنا تواريخ تلك الأمم و حضارتها. لذلك وجب على كل باحث أن يكون حريصا على تعلم اللغات، و أن يشد على وسطه و يعقد العزم على ذلك مهما كانت قديمة أو صعبة[9].

6- الباليوغرافيا (paleography) :

6-1- تعريف الباليوغرافيا :

عرّفت الباليوغرافيا على أنها العلم الذي يقوم بدراسة أساليب الكتابة القديمة، والتي تمت كتابتها في أغلب الحالات على الجلد أو الورق أو مادة مماثلة، مثل الألواح الخشبية أو أوراق الشجر أو القماش أو أي مادة أخرى يمكن الكتابة عليها بالقلم أو القصب أو فرشاة الرسم، كما يدرس علم قراءة الخطوط تاريخ الحروف المستخدمة لتمثيل الكلام، ويتتبع التغييرات من عصر إلى آخر في تلك الكتابات الخاصة بلغة ما، كما يُعنى هذا العلم أو الفن بفك رموز المستندات، ويحدد تاريخها ومكانها الأصلي من أسلوب الكتابة [10].

يبدوا جليّا من خلال التعريق السابق الذكر أن علم قراءة الخطوط لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعد من العلوم اللغوية، على غرار فقه اللغة، و النحو و الصرف في اللغة العربية، و كذا اللسانيات في مختلف اللغات الشرقية و الغربية. مع ذلك ارتأيت أن أدرجه ضمن مباحثها لارتباطه

---

[9] حسن عثمان، منهج البحث .... ص 26..

[10] Juan-José Marcos, Short manual of Latin paleography, Published lectures, Plasencia. (Cáceres). Spain, 2024. P3.

الوثيق باللغة و اتصاله المباشر بفهمها خاصة فيما يتعلق ببعض اللغات الميّتة و القديمة، لا لأنه من علومها.

2-6- أهمية الباليوغرافيا في فهم النص التاريخي :

أما حسن عثمان في كتابه الشهير: "منهج البحث التاريخي" فيجعل علم قراءة الخطوط من أساسيات البحث التاريخي في نواح كثيرة منه، و هو مهم في نظره في دراسة تاريخ العصور الموغلة في القدم و تستمر تلك الأهمية حتى أزمنة متأخرة من تاريخ الإنسان، كما ينوّه المؤلف ذاته إلى أن هناك خطوط كثيرة يحتفظ بها التراث -سيما الشرقية منها- باقية كالطلاسم لا يمكن للباحث فك رموزها إلا بعد تعوّد و تدرب على التعامل معها[11]. و في السياق ذاته نجد هناك من يؤكد على ما انتجه العرب من موروث علمي و ثقافي مخطوط شيء كثير، يوازي هذا الانتاج الكثير تنوع و وفرة أخرى في طبيعة الخطوط التي دونت بها تلك النصوص، بل و اختلاف من منطقة إلى أخرى فيه طبيعة رسم الكلمات و الجمل العربية، كما هو حاصل عند مسلمي الصين، و إفريقيا السوداء، و ذلك إن دل عن شيء إنما يدل عن قابلية الخط العربي للتطور، و أشهر تلك الخطوط هي : خط الرقعة، الديوان (الديواني)، الكوفة، الحجازي، الفارسي[12]...و غيرها كثير.

إن دراسة هذه الخطوط مسبقا، بشكل مستقل، تحفظ وقت الباحث و تجنبه الوقوع في كثير من الخطأ، و تتضح أهمية دراسة الخطوط في الكثير من مباحث التاريخ، مثل تاريخ مصر القديم، و تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام، كما تفيد في دراسة تواريخ أخرى غير تاريخ العرب، كالتاريخ اليوناني أو الروماني القديمان، و بل و تتجاوزه إلى تاريخ العصور الوسطى، و التاريخ الاوروبي الحديث و المعاصر، فالمؤكد أن كل لغة من لغات الأمم في العالم كتبت بخط ما، و الباحث في تاريخ تلك الأمة و موروثها المخطوط وجب عليه تعلم خطوط لغتها و معرفة أنواع، و مراحل تطوره، حتى يتسنى له الفهم الجيد للنصوص التي كتبت بها تلك الخطوط.[13]

7- خاتمة :

---

[11] حسن عثمان، منهج البحث ...، ص 27.

[12] حميد قريتلي، صعوبات تحقيق المخطوط "قراءة الخطوط أنموذجا"، مجلة مالك بن نبي، جزء 2، عدد 2، سنة 2020. ص58.

[13] حسن عثمان، منهج البحث...، ص 28.

في ختام النقاش حول أهمية العلوم اللغوية في تسهيل عمل المؤرخ في نقد النص التاريخي، يظهر بوضوح كيف تلعب هذه العلوم دوراً حيوياً في فهم الماضي وتحليل الوثائق والنصوص التاريخية. يمكن الاستنتاج بعدة نقاط :

- علوم اللغة تمكن المؤرخ من فهم اللغة التي كتبت بها الوثائق التاريخية. يعزز هذا الفهم شرح و تبسيط المفاهيم والمصطلحات التي قد تكون مغمورة بلغة موضوع الدراسة.
- العلوم اللغوية تمكن من تحليل السياق والمفردات في النصوص التاريخية، مما يساعد على فهم الاستخدام الدقيق للكلمات والعبارات في الزمان الذي كتبت فيه، و هذا ما نسميه تحليل السياق و المفردات.
- فهم اللغة يمكن المؤرخ من الكشف عن الخلفية الثقافية والأفكار التي كانت تسود في العصور محل الدراسة، وبالتالي يساهم في تفسير السياق الثقافي للأحداث.
- اللغة قد تحمل معانٍ متعددة لنفس الكلمة أو العبارة، وهنا تتجلّى أهمية الدور الذي يلعبه اللغوي في فحص السياق واستنتاج المعنى الأدق بالتمييز بين المعاني المتعددة.
- علم الخطوط يساعد في التحقق من دقة المصطلحات المستخدمة ومدى موثوقية الوثائق، حيث يمكن للمؤرخ استخدام مهاراته الباليوغرافية –إن صح التعبير- للتأكد من صحة المعلومات.

بهذه الطرق، تظهر أهمية العلوم اللغوية و ما يتصل باللغة من علم الخطوط و نحوه في تسهيل عمل المؤرخ وجعل تحليل النصوص التاريخية أكثر دقة وفهمًا. إن فهم اللغة وتحليلها بشكل صحيح يسهم بشكل كبير في تكوين رؤية شاملة وموثوقة للتاريخ، كما يرفع من قيمة البحث التاريخي، و يسير بخطى واثقة نحو العلمية، بين مختلف العلوم و المعارف الأخرى سيما منها العلوم الاجتماعية و الانسانية.